

مختارات شعرية

من شعر الحجازيات للشريف الرضي رحمه الله

أنشودة الحجيج

من معيد لي أيا
مي بجزع السمرات
ولياليّ بجمع
ومني والجمرات
وظباء حاليات
كظباء عاظمات
رائحات في جلاليه
ب الدجا مختمرات^(١)
راميات بالعيون النج
ل قبل الحصيات

(١) المختمرات، لايسات الخمار.

أَلْعَقْرُ الْقَلْبِ رَاحُوا
أَمْ لَعَقْرُ الْبَدَنَاتِ
كَيْفَ أَوْدَعْتَ فِئَادِي
أَعْيُنًا غَيْرِ ثِقَاتِ
أَيُّهَا الْقَانِصُ مَا أَحْسَنُ
تَصِيدِ الظُّبْيَاتِ
فَاتِكِ السَّرْبُ وَمَا زَوْ
دَتِ غَيْرِ الْحَسْرَاتِ
يَا وَقُوفًا مَا وَقُفِ
مِنْ فِي ظِلَالِ السَّلَامَاتِ^(١)
مَوْقِفًا يَجْمَعُ فِتْيَا
نِ الْهُوَى وَالْفِتْيَاتِ
نِتَشَاكِي مَا عَنَانَا
بِكَلَامِ الْعَبْرَاتِ
نَنْظَرُ يَشْغَلُ مِنَّا
كُلَّ عَيْنٍ بِقِذَاةِ
كَمْ نَأَى بِالنَّفْرِ عَنَّا
مَنْ غَزَالَ وَمِهَابِ
أَهْ مَنْ جِيَدٍ إِلَى الدَّاءِ
رَ كَثِيرِ اللَّفْتَاتِ
وِغْرَامِ غَيْرِ مَاضِ
بِإِلْقَاءِ غَيْرِ آتِ

(١) السلمات جمع سلمة بالتحريك، وهي ضرب من الشجر.

فسقى بطن منى والخ
يف صوب الغاديات
وزماناً نائم العذا
ل مأمون الوشاة
ففي ليالٍ كاللثالي
بالغواني مقمرات
غرست عندي غرس الشو
ق ممرور الجنة
أين راق لغرامى
وطيب لشكاتى^(١)

* * *

أحبك ما أقام منى وجمع،
وما أرسى بمكة أخشابها^(٢)
وما رفع الحجيج إلى المصلى،
يجرون المطى على وجاها^(٣)
وما نحرّوا بخيف منى، وكبوا
على الأذقان مشعرة ذراها
نظرتك نظرة بالخيف كانت
جلاء العين منى بل قذاها
ولم يك غير موقفنا فطارت
بكل قبيلة منا نواها

(١) عبقرية الشريف الرضى: ١٤٤.

(٢) الأخشبان: هما جبلا مكة أبو قبيس والأحمر.

(٣) رفعوا: أصدعوا. وجاها: حفاها.

فَوَاهَا كَيْفَ تَجْمَعُنَا اللَّيَالِي؛
وَاهَا مِنْ تَفَرُّقِنَا، وَاهَا
فَأُقْسِمُ بِالْوُقُوفِ عَلَى أَلَالِ،
وَمَنْ شَهِدَ الْجِمَارَ، وَمَنْ رَمَاهَا
وَأَرْكَانَ الْعَتِيقِ وَبَانِيَّهَا،
وَزَمَزَمَ وَالْمَقَامِ وَمَنْ سَقَاهَا
لَأَنْتِ النَّفْسُ خَالِصَةٌ، فَإِنْ لَمْ
تَكُونِيهَا، فَأَنْتِ إِذَا مُنَاهَا
نَظَرْتُ بِبَطْنِ مَكَّةَ أُمَّ خِشْفِ
تَبَعَّمُ، وَهِيَ نَاشِدَةٌ طَلَاهَا
وَأَعْجَبَنِي مَلَامِحُ مِنْكَ فِيهَا،
فَقُلْتُ أَخَا الْقَرِينَةِ أَمْ تُرَاهَا؟
فَلَوْلَا أَنَّنِي رَجُلٌ حَرَامٌ،
ضَمَمْتُ قُرُونَهَا وَلَثَمْتُ فَاها^(١)

* * *

خذي نفسي ياربيح من جانب الحمى
فلاقي بها ليلاً نسيم ربا نجد
فإنّ بذاك الحيّ الفأ عهدته
وبالرغم مني أن يطول به عهدي
ولولا تداوي القلب من ألم الجوى
بذكر تلاقينا قضيت من الوجد

(١) حرام: مُحْرَمٌ.

ويأصاحبيَّ اليوم عوجاً لتسألاً
ركيباً من الغورين أنضأؤهم تخدي^(١)
عن الحي بالجرعاء جرعاء مالك
هل ارتبعوا واخضر واديهم بعدي
كأن بعيني بعدهم عائر القذى^(٢)
إذا أنا لم أنظر إلى العلم الفرد
شممت بنجدٍ شيحة حاجرية
فأمطرتها دمعي وأفرشتها خدي
ذكرت بها ريا الحبيب على النوى
وهيهات ذا يابعد بينهما عندي
وإنني لمجلوب لي الشوق كلما
تنفس شاك أو تألم ذو وجد
تعرض رسل الشوق والركب هاجد
فتوقظني من بين نوامهم وحدي
فقلت لأصحابي ألا تتزافروا
رويدكم إن الهوى داؤه يعدي
وما شرب العشاق إلا بقيتي
ولا وردوا في الحب إلا على وردي^(٣)

* * *

(١) الرقيب مصغر ركب، وتخدي تسرع.

(٢) العائر، كل ما أعل العين. وفي الديوان (غائر) بالغين المعجمة وهو تحريف.

(٣) عبقرية الشريف الرضي: ١٤٦.

إني علقت عليّ منى
لمياء يقتلني لماها
راحت مع الغزلان قد
لعبت بقلبي ماكفاها
تبغي الثواب فمهجتي
هذي القريحة من رماها
وقف الهوى بي عندها
وسرت بقلبي مقلتها
بردت عليّ كأنما
ظل الغمامة عارضها
شمس أقبلّ جيدها
يوم النوى وأجل فها
وأذود قلباً ظامئاً
لو قيل وردك ما عداها
ولو استطاع لقد جرى
مجري الوشاح على حشاها
يا يوم مفترق الرفا
ق ترى تعود لملتقاها
قالت سيطرك الخيا
ل من العقيق على نواها
فعدى بطيفك مقلة
إن غبت تطمع في كراها
إني شربت من الهوى
حمراء صرف ساقياها

يا سرحة بالقاع لم
يبلل بغير دمي ثراها
ممنوعة لا ظلها
يبدنو إليّ ولا جناها
أكذا تذوب عليكمو
نفسي وما بلغت منهاها؟
أبن الوجوه أحبها
وأودّ لو أني فداها
أمسي لها متفقداً
في العائدين ولا أراها
واهاً ولولا أن يـلـو
م اللائمون لقلت آها^(١)

* * *

أقول لركب رائحين لعلكم
تحلون من بعدي العقيق اليمانيا
خذوا نظرة مني فلاقوا بها الحمى
ونجداً وكثبان اللوى والمطاليا
ومروا على أبيات حيّ برامة
فقولوا لديغ يبتغي اليوم راقيا
عدمت دوائي بالعراق فربما
وجدتم بنجد لي طبيياً مداوياً
وقولوا لجيران على الخيف من منى
تراكم من استبدلتمو بجواريا

(١) عبقرية الشريف الرضي ٢: ١٥١.

ومن حل ذاك الشَّعبِ بعدي وراشقت
لواحظه تلك الظباء الجوازيما
ومن ورد الماء الذي كنت وارداً
به ورعى الروض الذي كنت راعيا
فوا لهفتي كم لي على الحيّ شهقة
تذوب عليها قطعة من فؤاديا
صفا العيش من بعدي لحيّ على النقا
حلفت لهم لا أقرب الماء صافيا
فيا جبل الريان إن تعر منهم
فإني سأكسوك الدموع الجواريا
وياقرب ما أنكرتم العهد بيننا
نسيتم وما استودعتم الود ناسيا
أنكرتمو تسليما ليلة النقا
وموقفنا نرمي الجمار لياليا
عشية جاراني بعينه شادن
حديث النوى حتى رمى بي المراميا
رمى مقتلي من بين سجفني غبيطه^(١)
فيا رامياً لا مسك السوء راميا
فياليتني لم أعل نشراً إليكمو
حراماً ولم أهبط من الأرض واديا
ولم أدر ما جمع وما جمرتا مني
ولم ألق في اللاقين حياً يمانيا

(١) الغبيط على وزن أمير؛ هو المركب.

ويا ويح قلبي كيف زaidت في منى
بذي البان لا يشرين إلا غواليا
ترحلت عنكم لي أمامي نظرة
وعشر وعشر نحوكم لي ورائيا
ومن حذر لا أسأل الركب عنكمو
وأعلاق وجددي باقيات كماهايا
ومن يسأل الركبان عن كل غائب
فلا بد أن يلقي بشيراً وناعيا
وما مغزل أدماء تزجي بروضة
طلا قاصراً عن غاية السرب وانيا
لها بغمات خلفه تزعج الحشا
كجس العذارى يختبرن الملاهايا
يحور إليها بالبغام فتثني
كما التفت المطلوب يخشى الأعاديا
بأروع من ظمياء قلباً ومهجة
غداة سمعنا للتفرق داعيا
تودعنا ما بين شكوى وعبرة
وقد أصبح الركب العراقي غاديا
فلم أر يوم النفر أكثر ضاحكاً
ولم أر يوم النفر أكثر باكياً^(١)

(١) عبقرية الشريف الرضي ٢: ١٦١-١٦٤.

تَذَكَّرْتُ، بَيْنَ الْمَأْزَمِينَ إِلَى مِنَى،
غَزَالاً رَمَى قَلْبِي وَرَاحَ سَلِيمًا^(١)
لَئِنْ كُنْتُ أَسْتَحْلِي مَوَاقِعَ نَبْلِهِ،
فَإِنِّي أَلْقِي غِبَّهِنَّ أَلِيمًا
أَصَابَ حَرَامًا يَنْشُدُ الْأَجْرَ عُدْوَةً،
فَمَا عَادَ مَأْجُورًا وَعَادَ أَثِيمًا
فَلَوْ كَانَ قَلْبِي بَارِنًا مَا أَلِمْتُهُ،
وَلَكِنْ أَسْقَامًا أَصَبَنَ سَقِيمًا
إِذَا بَلَّ مِنْ دَاءٍ أَعَادَتْ لَهُ الْمَهَا
نُكَاسًا، إِذَا مَا عَادَ عَادَ مُقِيمًا
يُظَنُّونَنِي اسْتَطَرَفْتُ دَاءً مِنَ الْهَوَى،
وَهَيْهَاتَ، دَاءُ الْحَبِّ كَانَ قَدِيمًا
فَنَصْتُ بِجَمْعٍ شَادِنًا فَرَحِمْتُهُ،
وَأَخْفَقَ قَنَاصٌ يَكُونُ رَحِيمًا^(٢)
أَأْغْدُو مُهِينًا بِالْحَبَائِلِ سَاعَةً
غَزَالًا عَلَى قَلْبِي، الْغَدَاةَ، كَرِيهَا
تَرَاءَتْ لَنَا بِالْخَيْفِ نَفْحٌ لَطِيمَةٌ،
سَرَتْ عَنْكَ إِلَّا عَبَقَةٌ وَنَسِيمًا^(٣)

(١) المأزمين: مضيق بين مكة ومنى.

(٢) جمع: اسم للمزدلفة.

(٣) اللطيمة: وعاء المسك، أو سوقه.

وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْمَاطِلَاتِ عَشِيَّةً،
ذَوَاتِ يَسَارٍ مَا قَضَيْنَ غَرِيمًا
فَلَا يُبْعَدُ اللَّهُ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
مِنَ الْعَهْدِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَمِيمًا
